ثالثا: رواد علم الاجتماع

تعني كلمة "رواد " إلى أولئك المفكرين والباحثين الذين كان لهم تأثير واضح في نشأة وتطور علم الاجتماع ، وبلورته موضوعا ومنهجا ووظائف،وتوجيه كل هذه العناصر والعمليات وجهت، وأخرى مازالت قيد التنظير من طرف السوسيولوجي المعاصر وما يحتويه من اتجاهات؛

سنحاول في هذا المقام التطرق لرواد علم الاجتماع الذين أسسوا وساهموا في تطوير هذا العلم ، بدءا بابن خلدون، ثم أوجيست كونت، سبنسر، إيميل دوركايم ، بارسونز، فيبر و كارل ماركس، من خلال تسليط الضوء على اسهام كل مفكر في علم الاجتماع من حيث الموضوع أو المنهج أو الاستخدامات.

01- إبن خلدون (1332- 1406 م)

أ- نشأته وأهم مؤلفاته:

هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ولد في تونس وشب فيها وتخرّج من **جامعة الزيتونة**، درس العلوم الشرعية واللسانية والمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية شغل أعلى المناصب فكان كاتب السر وخطة المظالم ووزيرا وحاجبا وسفيرا ومدرسا وقاضيا وخطيبا والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس، ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية، ثم استقال من منصبه وتوجه إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي، ومن أشهرها كتاب (**العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)** في سبع مجلدات أولها الكتاب المشهور**"المقدمة"**، وعرض فيه أحوال البشر وطبائعهم والمؤثرات التي تميز سلوكاتهم، توفي وعمر ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة، تاركاً تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم.

ب- تأسيسه لعلم العمران البشري:

ويعني **"علم العمران البشري"** الذي جاء به **"ابن خلدون"** الاجتماع الإنساني وظاهرته، وهو يصوغ موضوع هذا العلم من خلال قوله أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بطبع، أي لابد من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى **العمران**.(عبد المعطي، 1981، 55)

يقول **"ابن خلدون"** أن ما سيكتب فيه شيء مستقل بذاته فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي: بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال الذاتية واحدة بعد أخرى، وها شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أم عقليا، وإن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غزير الفائدة عثر عليه البحث وأدى إليه الغوص...وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة. (**عبد الجواد، 11**)

ت- ضرورة الاجتماع الإنساني:

حيث يرى "ابن خلدون" أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحقيق حاجاته، ومن ثمة فتحصيل الحاجات يعد حجر الزاوية في الاجتماع الإنساني وضرورته، ويضيف أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه، وأن الناس متعاونون جميعا في عمرانهم، ومعنى هذا أن الحاجة والعمل مقولتان أساسيتان للوجود الإنساني وبدونهما يستحيل وجود مجتمع بشري.

ث- تغير العمران حقيقة أساسية:

فأحوال العالم والأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، ويرجع ذلك لعوائد السلطان، كما يقال في الأمثال " الناس على دين ملوكهم"؛

وأوضح ابن خلدون التغير الذي طرأ على العمران البشري من المجتمع البدوي إلى المجتمع الحضري، حيث يعتبر البدو هم سكان الصحراء الذين يعيشون حياة متنقلة، ويعتمدون في مصدر رزقهم على تربية الماشية، وحضارة البدو هي حضارة عربية في أصلها،أما الحضر من الناس فهم سكان الحضر هم قاطنوا المدن والرّيف والقرى، ويقتصر البدو في معيشتهم وأحوالهم على الضروري، فهم عاجزون على ما هو أكثر من ذلك، في حين يعتني أهل الحضر بحيازة الرفاهيات والكماليات في الأحوال والعوائد، ومن هنا فإن الحضري لا يتوق إلى حياة البادية إلّا لحاجة أو ضرورة تدعو إلى ذلك، كما يعتبر البدو أصلٌ للحضر

ج- العصبية عند ابن خلدون:

أو العصبة التي يقصدها " **ابن خلدون**" لا تعني مطلق الجماعة وإنما الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي ، وتبقى مستمرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تناسلهم ، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة والمدافعة وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داع للتعصب ، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته ، وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تذوب في شخصية الجماعة ، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبة فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد والمجموعة ، وليس بين فرد وآخر فقط ، وفي حال تعرض العصبة إلى عدوان فيظهر في هذه الحالة "الوعي" بالعصبية ، وهذا " الوعي العصبي" هو الذي يشد أفراد العصبة إلى بعضهم وهو ما يسميه **ابن خلدون** " بالعصبية " التي بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يُجتمع عليه، حيث تشتد وتقوى هذه الرابطة بين سكان البدو وتفتر بل وتتلاشى عند سكان الحضر.

ح- الحضارة والدولة:

عرّف ابن خلدون الحضارة بأنّها "تفنّن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله"، كما إنّه عرّفها ضمن الإطار الاجتماعي والتاريخي بأنّها الوصول إلى قمّة العمران والتطوّر الثقافي والشخصي للمجتمع والدخول للرقي الاجتماعي الثابت، فالحضارة بوجهة نظره هي نهاية العمران، بيد أنّ "ابن خلدون" تأثّر في ثقافة عصره وألفاظها التي تختلف عنها الآن، وقد يكون غير دقيق أحياناً في المصطلحات والمفاهيم ويبرز ذلك عنده في لفظ "**الحضارة**" حين يستعمل لفظ "**دولة**" بمعنى الحضارة، بيد أنّ ذلك عائد للمصطلحات واختلافها بين العصور فهو لم يتوقع أن تتطوّر اللغة وتختلف من عصر لآخر، ومع ذلك يُعتبر **ابن خلدون** أوّل من استخدم مصطلح الحضارة بمفهومه القريب من معناه حديثاً. (https://mawdoo3.com)

ويؤكد "**ابن خلدون**" أن تأسيس الدولة يسبق دائما تأسيس المدينة، فتكوين الدولة لازمة طبيعية لعمل العصبية، يؤكد حتما إلى العمران الحضري (الحضارة)، فارتقاء شيخ القبيلة وتفوقه على غيره يدلان على انتقال من طريقة إنتاج إلى أخرى تختلف عنها اختلافا كليا، يقول ابن خلدون "أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها، وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن آخره... "، ويكون من الخطأ أن نفكر في أن الانتقال من العمران البدوي إلى العمران الحضري انتقال خطي وسريع، وهو صريح جدا بهذا الشأن إذ يقدم لنا سلسلة من أطوار التطور ، وعمر الدولة عنده يضاهي عمر الحضارة والتطور الطويل الأمد لا ينطوي دوما على طابع تدريجي وإيجابي من حيث قوة وازدهار العمران ، إذ يمكن أن نمثل ها التطور بمنحنى يتخذ شكل الجرس، فالعمران البدوي يتلاشى تدريجيا خلال الأجيال الثلاثة (جيل البداوة، جيل الحضارة، جيل الترف) التي تمتد حوالي مئة سنة، وحين يصل إلى أعلى نقطة من المنحنى فإنه يكاد يتلاشى تماما ليترك مكانه للعمران الحضري في جميع الميادين، وتستمر هذه المرحلة إلى نقطة انقلاب الجزء المستقيم من الجرس وحينذاك ، يبدأ تقهقر الحضارة وهو أمر لا مناص منه في نظر ابن خلدون حين ينصرف الحاكم عن أمور الرعية ، وهذه الظروف خاصة بشمال إفريقيا كونه يعرف هذه المنطقة حق المعرفة. **(مغربي، 1988، 167-168)**

ج- المنهج عند ابن خلدون:

كان "ابن خلدون" مهتما بالتدوين المنهجي الصحيح والعلمي للأحداث التاريخية، حيث لاحظ أن المؤرخين يقعون في أخطاء كثيرة لأسباب متعددة منها: **(عبد الجواد، 10-11)**

- تعصب المؤرخ لمذهب او طائفة معينة من الحكام أو دولة ما، وهذا ما يقوده إلى تسجيل الوقائع التاريخية حسب هواه وميوله الشخصية.

- أن كثيرا من المؤرخين لا يحكمون العقل والمنطق فيما يصل إليهم وفيما يسجلون من أخبار.
- عدم قياس الغائب عل الشاهد، بمعنى ضرورة أن يقيس المؤرخون الأخبار التي يسمعونها على الأحداث التي يشاهدونها، وبذلك يتجنبون الخطأ.
- الجهل بالقوانين الطبيعية التي يسير عليها الكون، لأن علمهم بها يجنبهم الخطأ.
- الجهل بالقوانين الاجتماعية والمبادئ التي يسير عليها العمران البشري، فالعلاقات الانسانية تسير وفق قواعد وليست عشوائية.

أما ملامح المنهج عنده فتبرز في تركيزه على **الباحث** الذي يجب عليه أن لا يقبل الحقائق إلا بعد التأكد منها، ولا يتأثر بها بل يشكك وينتقد ويصحح وينتقي ويقارن ثم يستنتج، كما أكد على أهمية **منهج المقارنة** بين ماضي الظاهرة وحاضرها ذلك أن العمران متطور ومتبدل، وضرورة وصول علم العمران البشري إلى صوغ القوانين التي تحكم العمران لأن ذلك من أساسيات ووظائف العلم، ونجده أيضا يركز على **الملاحظة العلمية**.

ويمكن أن نفصل في قواعد المنهج العلمي عند "**ابن خلدون**" على النحو الآتي:

- النقد الباطني السلبي، ويقوم على التحري من مصدر الأخبار وطرق التثبت من صدق المؤلف ومن عدم انخداعه ووقوعه في الخطأ والغلط.
- الابتعاد عن التشيع والتعصب للآراء والأحكام المرتجلة والقبلية والالتزام بالجانب الموضوعي في عرض وقائع العمران.
- موسوعية المعرفة عند المؤرخ، إذ عليه الإلمام بقواعد السياسة وطبائع العمران والملك وتاريخ الأمم والاقتصاد في كل الأزمان.
- الشك في الأخبار وصدق المعلومات التي حصل عليها.
- المعرفة العقلية التي توصل إلى المعرفة العلمية وتقطع الشك باليقين.
- العلية، فابن خلدون يرى أن لكل حادث محدث وعلاقة تلازم في الحدوث.
- العمران البشري باعتباره المدخل المنهجي والإطار المعرفي الذي يتم في ضوئه الوصول إلى القوانين العامة للاجتماع الإنساني.

ثالثا: رواد علم الاجتماع (تابع)

أوجيست كونت (1798- 1857)

01- نشأته وأهم مؤلفاته

هو فيلسوف فرنسي ولد في مدينة "مونبليه" الفرنسية لوالدان كاثوليكيين، إلتحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس سنة 1813، وبعد أن أتم دراسته الجامعية شغل وظيفة معيدا في مدرسة الهندسة، ثم عين بعد ذلك سكريترا عند الاشتراكي "**سان سيمون**"، وفي عام 1826 بدأ في إلقاء سلسلة محاضرات عامة حول الفلسفة الوضعية، ثم أصيب بمرض عقلي جعله ينقطع عن تقديم محاضراته ويحاول الانتحار غرقا في "نهر السين"، ثم عاد بين سنتي 1830 و1843 إلى إلقاء محاضراته التي قدم فيها تصوراته للمعرفة والعلوم، التي حاول من خلالها التأسيس لعلمه الجديد الذي أطلق عليه في البداية اسم "الفيزياء الاجتماعية".**(عبد المعطي، 1981، 59)**

كان "**كونت**" ابن عصر النهضة متأثرا بفلاسفة عصره أمثال "**تيرجو**" و"**كوندرسيه**"، والاضطرابات التي عان منها النظام الاجتماعي وما أحدثته الثورة الفرنسية من تحولات في المجتمع الفرنسي، وأخيرا تعاون مع الفيلسوف "**سان سيمون**" في إخراج أبحاثه ومؤلفاته حيز الوجود،

صاحب ذيوع أفكار "كونت" في الساحة الفكرية جملة من **التطورات والأحداث** لعل أهمها: **(فرج، 179)**

- التقدم التكنولوجي الذي جاءت به الثورة الصناعية.
- النتائج الاجتماعية لانتشار التصنيع التي قدمها المصلحون والأخصائيون الاجتماعيون في مجهوداتهم لحل المشكلات المترتبة على التصنيع.
- التقدم الكبير في العلوم البيولوجية وظهور نظرية التطور الداروينية وما استتبع ذلك من مناقشات وردود أفعال أثرت على المعتقدات.
- التقدم الهائل في وسائل النقل والاتصال وازدياد استخداماتها.

ترك "كونت" تراثا فكريا مهما لعل أهم مؤلفاته: محاضرات في الفلسفة الوضعية، نظام في السياسة الوضعية، كما كتب مقالات في الفلك والطبيعة والكيمياء وتعمق في الفلسفة.

02- قانون تطور الفكر الإنساني

يقوم مذهب "أوجيست كونت" على قائمة من المعارف الإنسانية ونظرية عامة للعلوم تنبع أساسا من فلسفته الوضعية، فمن وجهة نظره يمكن تصنيف المعارف الإنسانية إلى ست معارف هي: الرياضيات، الفلك ،الطبيعة، الكيمياء، علم الأحياء وعلم الاجتماع، هذا العلم الجديد الذي وضعه

على رأس قائمة المعارف كونه علم يدرس المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية ويسعى إلى الكشف عن القوانين التي تحكمها، وهذا الترتيب من وجهة نظره ليس ترتيبا عقليا فقط، بل هو يساير كذلك تاريخ تطور العلوم. **(بوتول، 72)**

وقد قدم "كونت" نظرية عامة للتطور الفلسفي، تقوم على أساس أن الأفراد ومن ثمة المجتمعات قد مروا في سبيل فهم وتفسير العالم الذي يعيشونه ويحيط بهم بثلاث اتجاهات متعاقبة، شكلت بمفهوم علم الاجتماع المراحل الثلاث لتطور الفكر الاجتماعي ، واصطلح عليها **"كونت"** تسمية (قانون الحالات الثلاث) الذي مضمونه:

- **المرحلة الأولى**: المرحلة اللاهوتية أو الدينية وهناك من يسميها الخرافية، وهي مرحلة فسر فيها الإنسان الظواهر الطبيعية وغيرها من الظواهر في إطار القوى التي تفرضها الأرواح والآلهة، ففي النظم الاجتماعية التي كانت بهذه العقلية كان الاستعلاء الطبقي للجماعات الكنسية.
- **المرحلة الثانية**: المرحلة الميتافيزيقية أو الفلسفية، و هي مرحلة الفكر المجرد التي ترتبط فيها المثل عن الأشياء والمجردات التي توجد في عقول الأفراد بالواقع، وينظر للقوى المجردة باعتبارها قوى كامنة داخل الأشياء نفسها، وإليها يرجع السبب الأول في تفسير مختلف الظواهر.
- **المرحلة الثالثة**: المرحلة الوضعية أو العلمية، وهي المرحلة التي تفسر فيها الظواهر استنادا إلى المبادئ العلمية، المستندة إلى الملاحظة العلمية.

وقد اعتقد كونت أن التصنيع مرتبط **بالمرحلة الوضعية**، والتطور الإنساني في مقابل المرحلة الخرافية التي ترتبط بالعبودية، ويؤدي تطبيق العلم الوضعي على المسائل الإنسانية بالضرورة نحو مجالات السلام والوفرة الاقتصادية وخصوبة الفكر الإنساني، وعليه فإن العلم الوضعي حسب **"كونت"** بالحقائق التي تخضع للمشاهدة والملاحظة في مقابل العلم المعياري أي علم الأخلاق الذي يدرس المعايير ومستويات السلوك.

03- الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية :

قسم "أوجيست كونت" علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين، الأول هو الاستاتيكا الاجتماعية (Social Statics) والثاني سماه الديناميكا الاجتماعية (Social Dynamics).

- **الاستاتيكا الاجتماعية:** هي العلم الذي يختص بدراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها، وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها، وتتجسد في شكل النظم الأساسية والوحدات التنظيمية المركبة للمجتمع، كالاقتصاد، الأسرة والسياسة، ويفهم علم الاجتماع في هذه الحالة على أنه دراسة العلاقات التبادلية بين هذه النظم؛

إذ يقول "كونت" بهذا الصدد "يتمثل الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع في دراسة قوانين الفعل وردود الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي "، ويستطرد قائلا: "إن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها بعض كما لو كان لكل منها وجود مستقل، وعلينا بدلا من هذا أن ننظر إليها على اعتبار أنه تربطهم علاقات متبادلة، وأنها تكون كينا كليا، يفرض علينا أن نتناولها في علاقاتها ببعضها البعض". **(إنجلز، 1983، 35)**

ومثال ذلك الأسرة كنسق اجتماعي تتطور في مراحل مختلفة، كما أن لها علاقات بالأنساق الأخرى المكونة للبناء الاجتماعي.

- **الديناميكا الاجتماعية:** هذه الأخيرة تُعنى بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية، والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس المجتمع الإنساني في عمومه وكليته ومن ناحية تطوره وانتقاله من حال إلى حال. **(عبد المعطي، 1981، 62)**

ويقول "كونت" بالنسبة لتطور المجتمعات وتغيره عبر الزمن "يجب أن نتذكر أن قوانين الديناميكا الاجتماعية تبدو أكثر إيضاحا عندما ننظر إليها في ضوء المجتمعات الكبيرة" ، ويبدوا أن "كونت" كان يعتقد أنه قد استطاع بذلك حل مشكلة التغير والتطور نهائيا، فقد كان مقتنعا أن جميع المجتمعات قد مرت ببعض مراحل التطور المحددة ، وأنها كانت تتقدم باستمرار نحو مزيد من الكمال، وبرغم أن هذه الفكرة وجدت الكثير من المعارضين إلا أن ما يهمنا هو أن "كونت " كان يعتبر أن الدراسة المقارنة للمجتمعات بوصفها كيانات كلية تمثل موضوعا رئيسيا من موضوعات التحليل السوسيولوجي، ولعل قانون "الحالات الثلاث" الذي جاء به خير سبيل لفهم التطور والتقدم الاجتماعي.

04- المنهج عند كونت

يرى **"أوجيست كونت"** أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي يجب أن يتوافر شرطان هما:

- **الشرط الأول:** أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها ولا تخضع للأهواء والمصادفات، وذلك لأن فهمها بطريقة وضعية هو عبارة عن القوانين التي تحكمها.
- **الشرط الثاني:** أن يستطيع الأفراد التعرف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

حيث يرى أن الشرط الأول متوافر في الظواهر الاجتماعية لأنها جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها، وأما الشرط الثاني فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفته دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وضعية، وبقيام ها العلم يتم القضاء على الفوضى الفكرية ومن ثم يتم الإصلاح الاجتماعي المنشود . **(عبد الجواد، 14)**

إن رؤية "كونت" لعلم الاجتماع كانت رؤية علمية وضعية، وكان ينبغي على علم الاجتماع في اعتقاده أن يطبق المنهجيات العلمية الصارمة نفسها في المجتمع، كما هو الحال في الأساليب التي تنتهجها الفيزياء والكيمياء في دراسة العالم الطبيعي. **(غدنز، 2005، 62)**

وتتمثل ركائز منهجه في الدراسة والبحث: في الملاحظة والتجربة التي تقوم على منطق المقارنة بين الظواهر والمجتمعات، وأخيرا التحليل التاريخي المنطلق من دراسة الأفكار وتحليلها كمقدمة أساسية لفهم التطور الاجتماعي، ويجدر هنا القول بأنه برغم كل هذه الركائز فإنه عَد الملاحظة أهمها وأكثرها دقة، لأنها الأكثر اتساقا والفهم العلمي . **(عبد المعطي، 0981، 62)**

حيث اعتمادا على الملاحظة الحسية المتأنية يستطيع الإنسان أن يستنتج القوانين التي تفسر العلاقات بين الظواهر الملحوظة، ويستطيع العلماء بعد فهم العلاقات السببية بين الأحداث أن يتكهنوا بما ستكون عليه الأحداث في المستقبل، ومن هنا فإن علم الاجتماع الوضعي يعتقد بأن إنتاج المعرفة عن المجتمع ممكنة إذا ما اعتمدنا على الدلائل التجريبية المستقاة من الملاحظة والمقارنة والتجريب. **(غدنز، 2005، 62)**

وعلى الرغم من هذه الدعوة المنهجية "للأوجيست كونت"، إلا أنه لم يثبت عنه أن طبق التجريب على الظاهرة الاجتماعية، بل نجده اكتفى بعقد مقارنات متحيزة في كثير الأحيان ، كما أن الملاحظة الحسية كسبيل للمعرفة العلمية التي ركز عليها في منهجه، كانت في الغالب متأثرة بذاتية الباحثين وأهوائهم .

ثالثا: رواد علم الاجتماع (تابع)

إيميل دوركايم (1858- 1917)

01- نشأته وأهم مؤلفاته:

ولد "إيميل دوركايم" في (إبينال) باللورين وهي مقاطعة فرنسية، لأب من الحاخامات اليهودية، الذي أراد لابنه أن يسير على نهج الأسرة بأن يصبح رجل دين، وقد أراد الابن لنفسه ذلك أيضا فدرس العبرية وقرأ كتاب العهد القديم والتلمود، و في الوقت نفسه درس العلمانية وسار في التعليم الحكومي، تم قبوله بالمدرسة العليا للأساتذة سنة 1879، وتأثر بالعديد من المفكرين الفرنسيين لعل أهمهم "فوستل دي كولانج"، وبعد تخرجه سنة 1882 اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية، ثم أتيح له الذهاب إلى ألمانيا في إجازة علمية، فتأثر بفلاسفة عصر التنوير واعتبر "سان سيمون" أستاذه في علم الاجتماع.

وبالنظر إلى البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها "إيميل دوركايم" نجده عاش بداية في مجتمع يهودي محافظ ومتضامن تسوده علاقات مباشرة، ثم انتقل إلى "باريس" حيث المجتمع المتباين، لذا نجده لم يخرج عن هذين النمطين من المجتمعات في تصوره للمجتمع: مجتمع الطفولة البسيط ومجتمع العاصمة المعقد، كما بدأ مبكرا في الاطلاع على ما قدمه "سان سيمون" و" كارل ماركس" ليصوغ لاحقا دراسته الشهيرة حول **تقسيم العمل**، فجاءت مقولاته وأفكاره مناهضة للاشتراكية حينا ومتأثرة بها حينا آخر، إلا أن "إيميل دوركايم" كانت تصوراته كانت تؤكد **التضامن الاجتماعي** بدلا من **الصراع الاجتماعي**.

ويعتبر "إيميل دوكايم" المفكر الذي دعا إلى الابتعاد عن الدراسات **العامة والشاملة** في علم الاجتماع، والتوجه نحو **التخصص** ويكون موضوعه العمليات والنظم الاجتماعية، فقد حدد في (**مجلة الحولية الاجتماعية**) والتي كانت أول مجلة سوسيولوجية متخصصة أقسام علم الاجتماع الرئيسية كالتالي:

علم الاجتماع العام، علم اجتماع الديني، علم اجتماع القانوني والأخلاقي، علم اجتماع الجنائي، علم اجتماع الاقتصادي، الديمغرافيا وعلم اجتماع الجمالي.(**إنكلز، 39**)

من **أهم مؤلفاته**: تقسيم العمل الاجتماعي (1893)، قواعد المنهج في علم الاجتماع (1895)، الانتحار(1897)، الأشكال الأولية للحياة الدينية (1912).

02- تصور المجتمع عند دوركايم:

لخص "دوركايم" تصوراته لعلم الاجتماع وللمجتمع في أن العامل الفعال الوحيد الذي يؤثر في المجتمع هو البيئة الاجتماعية أو البيئة الإنسانية، وحينئذ على عالم الاجتماع أن يبذل مجهوده الرئيسي في الكشف عن خواص هذه البيئة التي تستطيع التأثير في تطور الظاهرة الاجتماعية، حيث اهتدى الدارسون للفكر الدوركايمي إلى نوعين من الخواص التي يتحقق في ضوئها الشرط السابق هي: **عدد الوحدات الاجتماعية** أو **حجم المجتمع** و **الكتلة الاجتماعية** أو **الكثافة الديناميكية** ، حيث يشير هذا الأخير إلى درجة التركز المادي والصلات الروحية الوثيقة بين أفراد المجتمع، أما الكثافة فتحدد بعدد الأفراد الذين يعيشون حياة مشتركة إلى جانب ما يتبادلونه من خدمات وما يوجد بينهم من تنافس، والحياة الاجتماعية تتضح وتتبلور حسب درجة الالتئام بين الأجزاء الاجتماعية وهي خير وسيلة تعبر عن الكثافة الديناميكية.

وعليه فإن كثافة المجتمع وتقسيم العمل والاتصال بمجتمعات أخرى هي عوامل بارزة في التطور والتغير الاجتماعي، ويتبين لنا أنه يعتبر الواقع المادي والموضوعي ليس فقط الواقع الاقتصادي، تابعا للأفكار والتصورات أو بصفة عامة **للوعي الجمعي** المتمثل في وجود قيم مشتركة بين الأفراد.

يمثل موضوع **تقسيم العمل** أهم إنجاز قدمه "إيميل دوركايم" في علم الاجتماع، الذي كان موضوع أطروحته في الدكتوراه؛

وقد أوضح "دوركايم" تطور المجتمعات من **مجتمعات بدائية** إلى **مجتمعات معاصرة** حسب نوع **التضامن الاجتماعي** السائد بين أفرادها، فالتضامن السائد بين المجتمعات البدائية هو(**تضامن آلي**) يتميز **بالبساطة** والسذاجة أحيانا وضيق الاختلافات والفوارق بين الأفراد فهم متشابهون إلى درجة كبيرة ويتمسكون بنفس القيم ويتفقون على نفس الأشياء حتى المقدس منها، بعبارة أخرى هم متجانسون ولا يخضعون لتقسيم العمل، في حين التضامن الذي تعرفه المجتمعات المعاصرة هو (**تضامن عضوي**)، الذي يتميز بالتعقيد وله مميزات في الوظائف ويخضع لمعيار مبدأ تقسيم العمل، وتقدر فيه توزيع الوظائف على الجماعات والأفراد إلى تميزه **بزيادة التخصص**، وهذا النوع من التضامن يشكل عنصرا أساسيا في الحياة الاجتماعية ويسود عموما داخل الوسط الاجتماعي الذي يطغى عليه سلطة القانون، بمعنى أن حياة الناس تتجه إلى التنظيم الرسمي وتساير صلاحيات السلطات بين مختلف الأدوار الاجتماعية في مفهوم التنظيم وتدرجه.

ولعل صفة "العضوي" التي أطلقها على نوع التضامن في المجتمعات المعاصرة جاءت كتبرير وتوضيح المسألة البيولوجية، مثلها مثل أجزاء الكائن الحي، فأعضاء هذا الأخير متمايزة لكنها ضرورية ولا غنى عنها للجسم بالتساوي فلكل وظيفته، وعليه كان "دوركايم" الأب الروحي للاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع.

03- أساسيات المنهج العلمي عند دوركايم:

تقوم الطريقة العلمية عند دوركايم على ركيزتين أساسيتين هما: الملاحظة والتفسير.

أ- **الملاحظة:** يرى "دوركايم" أنه يجب النظر للظواهر الاجتماعية على أنها أشياء في مواجهة الفكرة، معنى ذلك أن معرفتنا بالشيء إنما من الخارج من عالم الموضوع، في حين الفكرة تأتي من الداخل أي من عالم الذات، أي أن نسلك حيالها مسلكا عقليا خالصا **بإتباع الخطوات** التالية:

- التخلي عن الأفكار المسبقة التي نملكها حول الظاهرة وانطلاقا من كوننا لا نعرف شيئا عن جوهرها ونجهل تماما خصائصها.
- الانطلاق من الخواص الخارجية إلى الداخلية للظاهرة.
- الاعتماد على الإحصاء كتدبير يساعد على تخليص الظاهرة الاجتماعية من اختلاطها بغيرها، وبغية ملاحظتها في حالة نقائها وصفائها.

ولو طبقنا قواعد الملاحظة العلمية التي قدمها "دوركايم" لوجدنا الفئة الوحيدة من الظواهر الاجتماعية التي تلائمها هي فئة القوانين والتشريعات، فهي خارجة عن الفرد وموجودة ومستقلة ومصدر رئيس في الحياة الاجتماعية.

ب- **التفسير:** ينبغي حسب "دوركايم" تفسير ما هو اجتماعي بالاجتماعي، وليس بالنفسي أو البيولوجي، ويعني هذا تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء وظيفتها الاجتماعية وتبعا لذلك يلجأ "دوركايم" إلى حجتين منطقيتين تتكرران ويستخدمهما معا لتمهيد الطريق أمام التفسير الاجتماعي:

- **الحجة الأولى:** الحالات النفسية ليست سببا وإنما نتيجة للواقع الاجتماعي، ودليله أن اختلاف الميول النفسية وتغيرها باختلاف وتغير الشروط المجتمعية ومن مجتمع إلى آخر.
- **الحجة الثانية:** لا تفسر الظواهر الاجتماعية بالسلالة أو العرق أو الوراثة، والسبب أن أشكال التنظيم الاجتماعي الأكثر تنوعا وجدت في المجتمعات من السلالة نفسها .

وأخيرا يتحدد مسعاه العلمي في الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، ولك لهدف اجتماعي هو علاج المشكلات الاجتماعية، حتى نصل بالمجتمع إلى التضامن الاجتماعي المنشود وتقسيم العمل الوظيفي الفعال، وإلا فما الفائدة العملية لعلم الاجتماع عن لم يبلغ لك؟

04-الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم:

أما **الموضوع الأساسي** لعلم الاجتماع فكان بالنسبة له "**الظاهرة الاجتماعية** "، واتخذ من المماثلة العضوية بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية أساسا للتحليل والتفسير، حيث عرف "دوركايم " الظاهرة الاجتماعية بأنها: أنّها ضرب من السلوك المختلفة سواء كانت ثابتة أم متغيرة والتي من شأنها أن تسبب القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم في المجتمع بأكمله وتكون خصائص هذا السلوك مختلفة في حال تشكله بحالة فردية عنه في الحالة الجماعية. (إبراهيم، **2006، 96**)
وقد حدد لها مجموعة من **الخصائص المميزة** أهمها: (**عبد الجواد، 19**)

- **تلقائية:** بمعنى أن الفرد ليس بصانعها لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد، فنحن نولد ونجد مجتمعا كاملا معدا من قبل أن يوجد الأفراد ولا نستطيع أن نغيره إذا أردنا وعلينا أن نخضع له.
- **جبرية وملزمة:** أي أنها تمتاز بقوة قاهرة هي السبب في أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الأفراد، فليس الفرد حرا في إتباع النظام الاجتماعي أو الخروج عليه.
- **عامة :** يعني وجود الظاهرة في كل مكان فهي منتشرة في معظم المجتمع.
- **خارجية:** بمعنى أنها أشياء خارجية ومستقلة تستلزم دراستها دراسة موضوعية وملاحظتها منفصلة عن الحياة الفردية.
- **معقدة:** أي لا يمكن إرجاعها لسبب واحد بل لعوامل عدة (سياسية، اقتصادية، نفسية، دينية، جغرافية،...)، مما يجعل دراستها أصعب من الظاهرة الطبيعية.
- **متداخلة ومترابطة:** أي يفسر بعضها بعضا ويؤثر بعضها في البعض، فلا يمكن دراستها منفصلة أو منفردة، فالأسرة كظاهرة اجتماعية لا يمكن دراستها بمعزل عن الظواهر الاقتصادية أو السياسية...وهكذا.

أمثلة عن الظواهر الاجتماعية التي درسها إيميل دوركايم:

أ- ظاهرة الانتحار:

- **تعريف الانتحار:** يعرفه دوركايم على "أنه كل حالة وفاة ناتجة عن فعل إيجابي أو سلب، يقوم به شخص يعرف تماما نتيجة هذا الفعل"، والمقصود بالفعل الإيجابي هو إطلاق النار على النفس مثلا أو شرب السم، أما السلبي فيكون بالإصرار على البقاء في منزل يحترق أو الإضراب عن الطعام .(إبراهيم، **2006، 99**)
- **أنواع الانتحار:**

✓ **الانتحار الأنومي:** يظهر هذا النوع من الانتحار عندما يفشل المجتمع في السيطرة على سلوك وعلاقات أفراده ,وعندما تتفسخ الأخلاق والآداب والقيم وتضعف العادات والتقاليد وتعم

الفوضى والفساد في ربوع المجتمع وهنا يفقد الفرد آماله وطموحاته وتضعف أو تنعدم عنده الرغبة في التفاعل مع الآخرين والانسجام معهم، وعندما يشعر الفرد بعدم قدرته على وضع حد لهذه الحالة المتفسخة والشاذة وعجزه عن تغيير المجتمع نحو الأحسن فانه يصاب باليأس والقنوط وانعدام الآمال والأهداف، ومثل هذه الحالة تلحق به المرض النفسي والكآبه والاشمئزاز من الحياة.

- ✓ **الانتحار الإيثاري:** يعتبر انتحار التضحية في سبيل الآخرين مناقضا من حيث أسبابه ودوافعه لانتحار الوحدانية فهو ناتج عن شدة تماسك وانسجام الفرد مع جماعته وقوة علاقته الاجتماعية معها ذلك أن جماعته كما يعتقد لها أهميتها وفاعليتها في وجوده وكيانه فهو لا يستطيع العيش دون وجودها ويكون معتمد عليها ومتأثر بتعاليمها وفلسفتها وأساليبها السلوكية كما يكون مستعدا على التضحية بماله ونفسه من اجل بقائه واستمرارها إذا تعرضت للخطر والتهديد وعندما تتعرض الجماعة لخطر العدوان أو التفكك فانه يقوم بالدفاع عنها بكل ما يملك من قوة وباس ،وفي أحيان كثيرة ينتهج الصيغ الانتحارية لإنقاذها من مأزق التشتت والانهيار والفناء .وإذا فشل في إنقاذ الجماعة من الخطر فإنه يقدم على الانتحار علما منه بأنه لا يستطيع العيش بدونها ولا يريد مشاهدة وضعها البائس والمتشتت بعد عجزها في درء الأخطار والتحديات عنها، وما العمليات الانتحارية التي قام بها الضباط اليابانيون إبان الحرب العالمية الثانية إلا نموذج لذا النوع من الانتحار.(القريشي، 2012، 344)
- ✓ **الانتحار القدري**: وهو نوع يشير إلى حالة التنظيم المفرط والقيود المتشددة التي تنتج الانتحار ففي نظره أن الأفراد يقدموا على وضع حد لحياتهم بسبب شعورهم بضياع مستقبلهم بلا شفقة بعدما اصطدمت مشاعرهم بعنف المعاملة القاسية ، فضلا عن الأنظمة القهرية.
- ✓ **الانتحار الأناني**: يظهر هذا النوع من الانتحار نتيجة لانعزال الفرد عن المجتمع لسبب ما يتعلق بالفرد نفسه أو يتعلق بالمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ويتفاعل معه ،فهذا الفرد لا يستطيع تكوين علاقة طبيعية مع المجتمع لعدم تذوقه لقوانين وعادات المجتمع وسخطه على نظامه ووضعه العام ،والمجتمع من جانبه لا يعطي المجال للفرد للتفاعل معه والانسجام مع مؤسساته البنيوية نظرا لتناقض ميوله واتجاهاته ومصالحه وأهدافه وقيمه مع تلك التي يتمسك ويؤمن بها الفرد ، لذا يشعر الفرد بالبعد والعزلة عن المجتمع، وهنا يفقد آماله وطموحه ويضيع كل شي له علاقة بالمجتمع ويفشل في تذوق ثمرة عمله وجهوده,لذا تنعدم عنده معاني الحياة السامية ويفقد مثله وقيمه ومقاييسه بعد ذلك يصاب بمرض نفسي خطير قد يؤدي به إلى الانتحار .

- أعطى "دوركايم" **خلاصة لأسباب الانتحار بعد تحليله للظاهرة** ومنها:

- الزواج المبكر غالبا ما يؤدي إلى الانتحار خاصة بين صنف الرجال.
- يقل الميل إلى الانتحار إبتداءا من سن العشرين للمتزوجين من الجنسين عنه من غير

المتزوجين.

-تزداد نسبة الانتحار بين غير المتزوجين من الجنسين منها بين المتزوجين.

-تقل نسبة الانتحار بين النساء عنها بين الرجال.

- تقل نسبة الانتحار بين النساء غير المتزوجات عنها بين الرجال وذلك لأنه في نظره الرجل يستفيد من الزواج أكثر من المرأة.

- تقل نسبة الانتحار بين الأرامل عنها بين المتزوجات.

- تقل نسبة الانتحار بين المتزوجين الذين لديهم أطفال عنها بين المتزوجين الذين ليس لديهم أطفال.

- تقل نسبة الانتحار بين الأرامل الذين لديهم أطفال عنها بين من لا يوجد لديهم أطفال.

-تقل نسبة الانتحار بين الأرامل اللواتي لديهم أطفال عنها بين المتزوجات اللواتي ليس لديهن أطفال.

- تقل نسبة الانتحار كلما زاد حجم الأسرة.

- تقل نسبة الانتحار في فترات الاضطراب السياسي و الحروب.

ب- الظاهرة الدينية:

عرض "دوركايم" هذه الدراسة في كتابه (الصورة الأولية للحياة الدينية) سنة 1912 ، حيث حاول تطبيق تحليله للقوى الجمعية أو الجماعية في دراسته للدين في أكثر مظاهره الأولية، حيث يقرر منذ أنه سوف يدرس أكثر الديانات المعروفة لنا بدائية وبساطة، وهي تلك التي نجدها في مجتمع لا يتجاوز أي مجتمع آخر في بساطته، فقد وقع اختياره على إحدى القبائل الاسترالية التي تسمى (الأرونتا) لكي يجري عليها دراسته المركزة من خلال بعض المصادر الثانوية. (القريشي، 2012، 344)

فرق بين ما هو (**مقدس**) وما هو (**علماني**)، فالمقدس هو كافة ا أشياء التي يحددها الإنسان ويعزلها عن غيرها نظرا لطبيعتها الخاصة مثل الطقوس والمعتقدات التي تكتسب صفة دينية، أما العلماني فهو الجانب الاجتماعي الذي يضم الحياة العامة لهذه العشيرة بتجمعاتها والتي تمارس حياتها الخاصة لقضاء احتياجاتها.

وتوصل إلى أن الديانة "التوتمية " هي أكثر صور الدين بساطة، هذه الأخيرة تتمثل في حيوان أو نبات أو شيء طبيعي يرمز إلى قوة القبيلة من جهة وإلى مبدأ توتمي مقدس من جهة أخرى.(**www.pdffactory.com**)

ويحقق الدين وظيفة اجتماعية، حيث هناك اعتقاد داخلي أنه هناك قوة مقدسة تحمل مجموعة من الجزاءات تطبق على كل من يحاول انتهاك المقدسات وهنا يتحقق التفاعل والتضامن الاجتماعي.

ثالثا: رواد علم الاجتماع (تابع)

ماكس فيبر (1864- 1920)

01- نشأته وأهم مؤلفاته

ولد "ماكس فيبر" في (إيرفيرت) بألمانيا، لأسرة بروستانتية كانوا من أشهر تجار (بيلفيلد)، وتوسعوا في تجارتهم حتى وصلوا إلى (فرانكفورت) و(مانشستر)، كان والده محاميا عمل بالسياسة وانتخب عضوا بالبرلمان وكان زعيم الحزب الحر، باختصار كان لأسرة برجوازية موضعا وتوجها، أما هو فانتقل إلى برلين مع عائلته ويعد ليكون عضوا بالكنيسة البروستانتية عام 1879، وبدأ في دراسة الاقتصاد سنة 1882 تعرف على فكر آدم سميث وكارل ماركس،وبعد حصوله على الدكتوراه قام بتدريس القانون بجامعة برلين عام 1892، وعمل أستاذا للسياسة عام 1894 والاقتصاد عام 1897 سافر إلى أوروبا وأمريكا ما بين 1899- 1904 ، ولم يحترف علم الاجتماع إلا قبيل وفاته بعامين فقط، ولم يبرز كسوسيولوجي إلا بعد وفاته.

كان مولعا بالسياسة وتمنى أن يكون زعيما سياسيا لكنه أخفق في حياته السياسية والعملية، فحاول أن يفهم مجتمعه، كما اهتم بتوضيح فضل البروستانتية في صعود الرأسمالية ، الشيء الذي عالجه في كتابه (الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية)، كما ترك مجلدا كاملا حول (الاقتصاد والمجتمع) الذي يعتبر شاملا لتصوراته حول علم الاجتماع وقضاياه، كتاب (مفاهيم أساسية في علم الاجتماع)

أ- الفعل الاجتماعي عند فيبر:

الفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع عند "ماكس فيبر" ولقد عرفه بأنه " **صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي أو الخارجي، الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، إنه يكون الفعل عندما يخصص الفرد معنى ذاتياً معيناً لسلوكه، والفعل يصبح اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطي لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم**".

ونظرا لتحديده لعلم الاجتماع بوصفه علما وشاملا للفعل الاجتماعي ، اقتضاه هذا أن يبذل جهدا في تصنيف الأفعال الإنسانية وتنميطها، حيث كانت محاولاته هذه مسيطرة على تفكيره خاصة عندما همَّ بتفسير خصائص وأغراض المجتمع المعاصر، ووفقا لما أتى به يعد **الرشد والعقلانية** خاصية أساسية للعالم الذي نعيش فيه، وتظهر هذه الأخيرة في علاقاتها بالأهداف المحددة، فالمشروع الاقتصادي يكون رشيدا عندما تضبط الدولة بواسطة البيروقراطية ، وحتى **العلم** يعد من وجهة نظر "فيبر" مظهرا لعملية **العقلنة** التي تميز المجتمع الحديث. (**عبد المعطي، 1981، 93**)

يرى "فيبر" أن المجتمعات الحديثة تخلت عن المعتقدات التقليدية المرتكزة على الشعوذة والدين والعادات الاجتماعية، وبدأ الأفراد عوضا عن ذلك يتبنون أساليب التفكير العقلاني والترشيد التي تأخذ بالاعتبار معايير الكفاءة وتوقعات المستقبل، حيث أطلق اسم (الترشيد العقلاني) على تنمية العلوم وتطوير التقانة ونمو البيروقراطية، ويعني الترشيد العقلاني في هذا السياق تنظيم الحياة الاجتماعية الاقتصادية انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكزة إلى المعرفة التقنية. (**جدنز، 2001، 72**)

ويقسم "فيبر الفعل الاجتماعي" إلى ثلاث أشكال هي:

- **الفعل العقلي**: الذي له غايات محددة ووسائل واضحة، إذ أن الفاعل يضع في اعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويماً عقلياً، فالمهندس الذي يصمم مشروعاً معمارياً، والمضارب الذي يحسب ما يعود عليه بسبب مضارباته والقائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر، كلها أمثلة للفعل الاجتماعي الفعلي.
- **الفعل العاطفي** : وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل، والأمثلة على هذا النمط من السلوك عديدة حينما يختار المرء الوسائل على أساس صلتها بالغايات أو القيم وإنما باعتبارها تنبع من تيار العاطفة.
- **الفعل التقليدي**: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم يعبر عن استجابات آلية اعتاد عليها الفاعل، ولا شك أن ضرباً من السلوك هذا شأنه سوف يظل دائماً على هامش الفعل الذي توجهه المعاني.

ب- النماذج المثالية:

يعتبر مفهوم (النموذج المثالي) الذي جاء به "ماكس فيبر" من نماذج التحليل التي استخدمها لفهم العالم، الذي يقصد به: "المجموع الكلي للمفاهيم التي ينشئها أو يبينها المتخصص في العلوم الإنسانية بصورة نقية وبعيدة عن أي تحيز لتحقيق أهداف البحث".

إلا أنه قلما توجد هذه النماذج المثالية في الواقع وربما لا توجد على الإطلاق، غير أن هذه النماذج الافتراضية قد تكون مفيدة جدا عندما نحاول فهم الأوضاع الفعلية في العالم ومقارنتها بالأنماط المثالية.(جدنز، 2001، 71)

ويوجد حسبه نوعين من المعاني لهذا النموذج المثالي، **الأول** وهو المعنى الموجود **واقعيا** لفاعل فرد واقعي، و**الثاني** هو الذاتي الذي ندركه **نظريا** ونطلق عليه النمط المثالي، ويمكن استخدام هذا الأخير في علم الاجتماع عندما نقارن السلوك الفعلي به فيساعد ذلك في فهم ما هو قائم.

أما تنظيميا فقد اقترح مفهوم (السلطة) الذي ميز فيها بين ثلاث أنماط لها هي:

- **السلطة الكاريزمية**: المستندة إلى الإلهام والتي تنسب إلى وجود قائد وملهم له خصائص نادرة بمقتضاها يضحي قائدا أو زعيما.
- **السلطة التقليدية**: التي تستند إلى قدسية التقاليد والإيمان بخلود الماضي، وبمقتضاها ينظر الناس للنظام الاجتماعي القائم بوصفه مقدسا وغير قابل للانتهاك.
- **السلطة القانونية**: التي تستند إلى سيادة القانون التي تفترض وجود مجموعة رسمية من المعايير المستقرة نسبيا، والتي تسعى إلى تنظيم السلوك كي يكون سلوكا رشيدا.

ت- الدين والاقتصاد:

في كتابه (**الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية**) درس "فيبر" العلاقة بين الدين والاقتصاد، حيث تناول بالدراسة ديانات الصين والهند والشرق الأدنى، خاصة عندما قارن بين الأنساق الدينية لهذه المجتمعات والغرب من جهة ثانية، وخلص إلى أن جوانب من التعاليم المسيحية قد تركت أثرها على الرأسمالية، وقد قدم بذلك إسهاما حقيقيا في علم اجتماع الديني (جدنز،2001، 71)

ويقول "فيبر" أن الموضوعات الرئيسية الثلاث التي تبرر أثر الدين على الاقتصاد كانت تدور حول:(أنجلز، 1983، 41)

- **الكشف عن أثر الأفكار الدينية على الأنشطة الاقتصادية،**
- **وتحليل العلاقة بين التدرج الاجتماعي والأفكار الدينية،**
- **وتحديد وتفسير السمات المميزة للحضارة الغربية.**

ونجد "فيبر" يوضح ماهية عناصر الديانات هو البداية لمعرفة تلك الأسباب، **فالبروتستانية** تتسم بأنها تهتم بمباهج الحياة، وترى أن على الفرد أن يعيش باستمتاع وإثارة ومجازفة وتعظم قيمة المال، على عكس ما تتسم به **الكاثوليكية** كونها في رأي فيبر أكثر"انفصالاً عن العالم" وأنها تعطي لا مبالاة كبيرة إزاء ثروات العالم، وهنا يكمن التعارض بين الطائفتين.

وإذا كانت الماركسية اعتبرت أن العامل الاقتصادي والاجتماعي هو الذي يحدد وعي الناس أو كما يقول ماركس: "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجوهم، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"، فإن "ماركس فيبر" من خلال أبحاثه السوسيولوجية خصوصا في الدين والمجتمع والسياسية والاقتصاد، اعتبر أن القيم الثقافية وعلى رأسها القيم الدينية هي التي أرست معالم الرأسمالية وهي التي ساهمت في تكوين الحرية الفردية التي تقوم على مبدأ المبادرة والربح وامتلاك الثروة، حيث يقول "ماكس فيبر": "فقد كانت القوى السحرية والدينية، إضافة إلى أفكار أخلاقية مبنية على أساسها، تعد من بين العناصر الأكثر أهمية في تكوين السلوك"، اعتمد "ماكس فيبر" في مقاربته للموضوع على مقاربة سوسيولوجية تعتمد المقارنة بين مجموع الطوائف الدينية التي كانت منتشرة في أوروبا ومن بينها (الكاثوليكية والبروتستانتية)، وخلص في نهاية هذا البحث إلى أن **الطائفة البروتستانتية** هي الأقرب إلى روح الرأسمالية حيث يقول في كتابه " **إذا عدنا إلى الإحصائيات المهنية في بلد تتعايش فيه طوائف دينية متعددة، نلحظ بصورة متواترة، واقعا أثار العديد من المرات نقاشات حادة في الصحف والكتابات الأدبية، والمؤتمرات الكاثوليكية في ألمانيا، يتلخص هذا الواقع في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة، وفوق ذلك الملاك التقني والتجاري ذا الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية." (**http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=289914**)**

ثالثا: رواد علم الاجتماع (تابع)

كارل ماركس (1818- 1883)

01- نشأته وأهم مؤلفاته:

ولد "كارل ماركس" في 5 ماي 1818 بمدينة (تريف) في بروسيا، وكان واحدا من بين سبعة إخوة لأبوين يهوديين، والده كان محاميا ارتبط بعصر التنوير قرأ لكانط وفولتير، فكان تأثيره على شخصية "ماركس" واضحا،حيث نشأ على الحرية وحب المعرفة، وعندما أرسله إلى المدرسة الثانوية تلقى تعليمه على يد أساتذة ليبراليين، فكان موضع ثناء وتشجيع لتفوقه في الرياضيات والدراسات اللاهوتية، وفي عام 1835 التحق بجامعة "بون" ودرس التاريخ واهتم بالإنسانيات، واندمج في النشاط الطلابي، ثم انتقل إلى جامعة "برلين" سنة 1836 وفيها التقى بفلسفة (هيجل) وبدأ يقرؤها ويلم بها، وفي عام 1839 التقى صديقه الحميم (أدولف ريتنبرج) وكان هذا الأخير من (الهيجيليين الراديكاليين). **(عبد المعطي، 1981،68)**

انظم "كارل ماركس" لـ (الشبيبة الهيجلية) في 1842، والتحق كمحرر بالجريدة (الرينانية) فساعده اشتغاله بالصحافة على أن يتفتح على المجتمع ومشكلاته، وبعد زواجه سنة 1843 من "جني فون وستفالن" التي كرست كل جهودها لحياته وعمله واندمجت معه عاطفيا وأخلاقيا ، حيث كان "ماركس" يعتمد عليها اعتمادا كليا خصوصا في أوقات الكوارث، حتى هاجر إلى (باريس) موطن الحرية الفكرية والسياسية آنذاك لنشر أفكاره ومبادئه، وقد كتب بهذا الخصوص يقول: "إن الجو هنا خانق لا يحتمل في الواقع، فليس من العسير على المرء أن يتذلل حتى من أجل الحرية، لقد سئمت النفاق والغباء وفظاظة الموظفين الرسميين، وتعبت من طأطأة الرأس وابتكار العبارات التي لا خطر منها ولا ضرر من ورائها، إن ألمانيا لم يعد فيها ما أستطيع أن أفعله، إن المرء لا يستطيع أن يكون فيها إلا أن يكون غير أمين مع نفسه". **(بوتل، 82)**

عندما انتقل إلى فرنسا وتنقل إلى بلجيكا التقى بـ "جوزيف برودون" و "فريدرك أنجلز"، شارك في النشاطات السياسية في ثورة فرنسا 1848 وانتهي به المطاف في "لندن" حيث توفي في 14 مارس 1883 .

من أهم مؤلفاته: (**البيان الشيوعي**) مع زميله "أنجلز" سنة 1848، ومجلد (**رأس المال**) سنة 1867، والعديد من المقالات مثل (**مدخل إلى نقد فلسفة هيجل في الحق**)، (**حول المسألة اليهودية**)، (**العائلة المقدسة**).

02- نظرة كارل ماركس لعلم الاجتماع:

رفض **"ماركس"** استخدام تسمية (علم الاجتماع) لارتباطها بالفلسفة الوضعية التبريرية التي روج لها "**أوجيست كونت**" لأنه في معظمه يتسم بصفة التبرير لا التفسير العلمي بالمحافظة لا النقد العلمي الاجتماعي، فضلا عن مزج التحليل السوسيولوجي بمحاكاة ومماثلة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية، ولهذا فضل تسمية العلم بـ (علم المجتمع)، وحدد موضوعه الأساسي بدراسة المجتمع ا إنساني ككل تاريخي متغير، من خلال دراسة القوانين الاجتماعية لتطور التكوينات الاجتماعية والاقتصادية، وبحث مختلف العلاقات الداخلية لجوانب الحياة الاجتماعية، التي تأتي في مقدمتها العلاقات الإنتاجية وعلاقات الملكية، ويتحدد أيضا بالوجود الاجتماعي الموضوعي.

يرى "ماركس" أن وظائف **"علم المجتمع"** وأدواره تتركز في وظيفة علمية وأخرى مجتمعية، كل منهما تثري الأخرى وتنميها وتطورها، فمسعى البحث السوسيولوجي الماركسي هو الكشف عن القوانين العامة والقوانين النوعية للتطور الاجتماعي ، الذي يتجسد في توفير أرضية علمية للتنبؤ بالمسار الاجتماعي ويفيد في إعادة النظر فيما هو قائم وما يمكن أن يؤول إليه لو ترك على تلقائيته وما يقتضيه الأمر من تخطيط وتدخل له لتجاوز تناقضاته، سواء ما يتعلق بالاستغلال والاغتراب أو أي صورة أخرى من صور استلاب الإرادة الإنسانية المبدعة، ولهذا كان "ماركس" حريصا على تأكيد أهمية إسهام العلم والبحث في إحداث التغيير المقصود .

03- الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي:

فرق "ماركس" بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي في إسهام متميز لعلم المجتمع، ونقله من المرحلة الفلسفية إلى النظرية الاجتماعية ، وبهذا قدم إجابة سوسيولوجية للسؤال : أيهما أسبق الوجود أم الوعي؟ حيث يذهب إلى أن أسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الطابع العام للعمليات الاجتماعية لأن وعي الناس ليس هو الذي يحدد وجودهم، بل العكس يتحدد وعيهم بوجودهم الاجتماعي.

يرى "ماركس" أن الوعي يبدأ بمجرد أن يبدأ الإنسان في إنتاج وسائل العيش، تلك الوسائل التي تتحدد بداية بظروف الطبيعة وإمكانياتها، وعليه فعندما ينتج الناس هذه الوسائل يبدؤون في إنتاج حياتهم المادية والعقلية، وهذا يعني أن **الإنتاج** صورة **النشاط الإنساني**، وعليه فإن ذلك يحدد المرحلة التاريخية من تطور المجتمع، وبخاصة ملكية وسائل الإنتاج، عندئذ تتحدد الطبقة عن طريق الملكية وعن طريق قوى الانتاج والتقسيم الاجتماعي للعمل حسب ما تسمح به المرحلة التاريخية، ويؤكد "ماركس" هذا بقوله: "دعني ألخص لك أنه كلما نما الإنتاج الرأسمالي نما تقسيم العمل واتسع استخدام الآلات، وكلما نما تقسيم العمل واستخدام الآلات اتسعت المنافسة بين العمال واتجهت أجورهم نحو الانكماش"، وتلك هي الظروف الموضوعية لنشأة الطبقة العمالية.(**عبد المعاطي، 1981، 71**)

04- المادية التاريخية والمادية الجدلية:

يتألف الفكر الماركسي من مكونين أساسيين هما: **المادية التاريخية** التي تمد حسب رواد الفكر الماركسي بإطاره الأساسي الذي يقدم لها العلم إجابة علمية على المسألة السوسيولوجية المعرفية الأساسية، وهي مسألة العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي ، هذا الوجود الذي تعده المادية التاريخية واقعا موضوعيا مستقلا عن الوعي، وعليه فإن هذه الأخيرة هي التي تشكل الإطار العلمي لعلم المجتمع الذي يدرس القوانين العامة للتطور الاجتماعي وصور حدوثها وتجسيداتها من خلال النشاط الاجتماعي التاريخي للإنسان.

أما **المادية الجدلية** فتعتبر الإطار الفلسفي العام للعلم ، إذ يعتبر "ماركس" الحقيقة الجديدة نسبية لا تلبث أن تقابل بهجوم من حقيقة مضادة هي "النقيضة" لقضيتها، ثم يتبع ذلك أن تدمر كل منهما الأخرى وهكذا دواليك...فتستمر العملية إلى ما لا نهاية بمجموعة من التأثيرات أكثر تعقيدا، حتى تتأثر القضية بنقيضتها في نوع من حرية تبادل الآراء ومن ردود الفعل ومن الاستدلالات، فالجدلية المادية ليست مباراة جدلية لفظية بل أصبحت نوعا من التحليل الوضعي للقوى خاصة في مواجهة الأفعال المتبادلة.

05- البناء الفوقي والبناء التحتي:

تعتمد منظمة المجتمع على وسائل الإنتاج وأشياء كالأراضي والموارد الطبيعية والتكنولوجيا تحديداً هامة لإنتاج السلع المادية وعلاقات الإنتاج، بعبارة أخرى العلاقات الاجتماعية التي يتشاركها الناس ليكتسبوا ويستخدموا وسائل الإنتاج هذه الأشياء معاُ تؤلف طريقة الإنتاج، وقد ميز ماركس حقب تاريخية من ناحية طرق الإنتاج المختلفة، فرق بين **البناء التحتي** و**البناء الفوقي** فالأول يرمز إلى النظام الاقتصادي، بينما الثاني يرمز إلى النظام السياسي والثقافي، واعتبر ماركس هذا عدم تطابق بين البنية التحتية (الاقتصادية) والبنية الفوقية (الاجتماعية) كمصدر رئيسي للصراع والاضطراب الاجتماعي وعلى الرغم من تأكيد ماركس على نقد الرأسمالية ومناقشة المجتمع الشيوعي الجديد الذي ينبغي أن يحل محلها، إلا أنه دافع عن نقده الصريح للرأسمالية برؤيته كمجتمع أفضل مقارنة بسابقاته (العبودية والإقطاعية).

06- الطبقات الاجتماعية:

الطبقة هي مجموعة من الأشخاص في المجتمع يحدد حياتهم تمتعهم بوضع اقتصادي مشترك، أما وضع الفرد الذي يقوم به في عملية الإنتاج الاجتماعي فيعتمد هذا بدوره على طابع القوى الإنتاجية ودرجة نموها، ويتخذ "ماركس" من الطبقة الاجتماعية مفهوما أساسيا للتحليل الاجتماعي؛ تؤدي ملكية وسائل الإنتاج إلى ظهور طبقتين اجتماعيتين تعيش كل منهما في صراع مع الأخرى هما: **الطبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا (العمالية)**،والعمل الذي تؤديه هذه الأخيرة يقدم فرقا كبيرا بين ثمن

المنتجات وأجورها، وهذا الفرق هو المصدر العام لأرباح الرأسمالية، حيث يوضح ماركس أن تضخم الفوائد والأرباح وحرية المنافسة تؤدي إلى الاحتكار الاقتصادي، الذي بدوره يؤدي إلى المفارقات الاقتصادية وتصارع الطبقات.

07- الصراع الطبقي:

صراع الطبقات الاجتماعية هو مفهوم رئيسي في الفكر الماركسي ، التي تسعى لمُراعاة القضايا التاريخية والتوترات الاقتصادية داخل مجتمع مُنقسم إلى طبقات اجتماعية معادية، ويعتبر " كارل ماركس" و"فريدريك انجلز" هم اللذان أكدا الانتشار العالمي لهذا المفهوم، حيث يعتبرانه محرك التغيرات الاجتماعية والتاريخ الحديث، إذ يقول "ماركس" لا يزال يُفَسر تاريخ جميع المُجتمعات الحالية بتاريخ صراعات الطبقات."

كما يرى "ماركس" أن الرأسمالية تشكل بطبيعتها نظاما طبقيا تتميز العلاقات الطبقية فيه بالصراع، ورغم أن الرأسماليين والعمال يعتمد كل منهما على الآخر، لأن الرأسماليين يحتاجون إلى قوة العمل والعمال يحتاجون إلى الأجور، فإن هذه المعادلة تعاني خللا فادحا، فالعلاقات الطبقية في هذه الحالة تتميز بالاستغلال، لأن العمال لا يتمتعون بأي قدر من السيطرة على عملهم في الوقت الذي يقوم فيه أرباب العمل بجني الربح عن طريق تملكهم حصيلة عمل العمال، ويعتقد "ماركس" أن صراع الطبقتين حول الموارد الاقتصادية سيزداد بمرور الوقت.(جدنز، 2005، 69)

08- الدعائم المنهجية عند ماركس:

تتميز طريقة ماركس في التفكير، أي الطريقة المادية الجدلية والتاريخية بسمات جوهرية ثلاثة هي أنها **مادية**، وهذا يعني الإقرار بوجود الأشياء والظواهر موضوعيا، بغض النظر عن إرادة الإنسان ووعيه بها، و أنها **جدلية**، بمعنى أنها تنظر إلى الأشياء والظواهر على أنها ظواهر متناقضة وفي تغير مستمر، وتخضع لنوع من الترابط والشمولية، يؤثر ويتأثر بعضها بالبعض الأخر ، و أنها **تاريخية**، وهذا يعني من جهة أن الوجود الموضوعي للأشياء والظواهر هو وجود تاريخي متغير، يختلف من حيث زمن وجوده، ومن جهة ثانية إن معارفنا عن الأشياء والظواهر ذات قيمة تاريخية وحسب.

(**بودواهي**، http://www.ahewar.org/debat/s.asp?t=4&aid=286493)

وعليه تقوم منهجية البحث السوسيولوجي عند "كارل ماركس" على منهجين أساسيين هما: **المنهج الجدلي والمنهج التاريخي** مع عدم استبعاد أهمية الطرائق البحثية التي كانت تستخدم في زمانه كالاستبيان، حيث أنه أسهم في تطبيق صحيفة استبيان حول أوضاع العمال، وقد ساعده المنهج التاريخي على كشف القوانين العامة والنوعية للتطور الاجتماعي، كما ساعده المنهج الجدلي على التمييز في الحياة الاجتماعية بين الموضوعي والذاتي، العام والخاص، الضروري وغير الضروري، وقد ساعد هذا على إكساب علم المجتمع طابعا علميا ونوعيا في الوقت ذاته. (**عبد المعطي، 1981، 72**)